# العولمة وعالمية الإسلام - دراسة مقاصدية

د. علي محمد الفقير -جامعة القصيم

د. أسامة حسن الربابعة -جامعة البلقاء التطبيقية

**ملخص**

إن ما تعيشه البشرية من واقع مؤلم ومستقبل مظلم، يتخبط فيه الإنسان على غير هدى بعد أن سيطرت قيم المادة وثقافة العولمة على المجتمعات، يفرض على كل حريص على الإنسانية أن يمعن النظر في الأسباب التي أوصلت البشرية إلى هذا المدى من الانحلال والظلم والدمار.

وهذا البحث محاولة لبيان خطورة مشروع العولمة فهو السبب لما وصلت إليه البشرية من سوء، وهو دعوة إلى إعادة قراءة المشروع الإسلامي العالمي كبديل عادل وأخلاقي، يمكن أن ينقذ البشرية ويوصلها إلى بر الأمان على المستوى الدنيوي والأخروي.

وهذا الموقف ليس عنصرية ولا تعصبا وإنما هو نتيجة قراءة موضوعية لكلا المشروعين وفق مقاصد الشريعة، فسبب الكتابة فيه هو إحساس الباحثين بما تعانيه البشرية من اضطراب وتخبط على كافة الأصعدة، وهو محاولة لفتح الحوار مع كل النخب الثقافية في العالم حول المشروع القادر على تقديم الحلول الأخلاقية والعادلة الكفيلة بإنقاذ البشرية وفق الضوابط الشرعية المستمدة من روح مقاصد الشريعة.

## Abstract

The painful reality and bleak future that mankind is experiencing nowadays ، in which human flops pointlessly ، is due the command of the material values and the culture of globalization that have dominated societies. people ، who are keen on mankind ، are supposed to reflect on the reasons that brought humanity to this extent of decay ، injustice and destruction.

This research is an attempt to describe the danger of the globalization project ، which is the reason behind what came to mankind of badness ، and it is an invitation to reread the global islamic project as fair and moral alternative which may save mankind and lead them to safety at life and afterlife.

This attitude is not racism or intolerance ، but it is a result of subjective reading for both projects according to sharia purposes ، so the reason behind writing on this issue is the researchers' feeling about what mankind suffering of disorder and confusion at all levels. this paper is also an attempt to open discussion with all cultural elites all around the world about the project which can offer moral and fair solutions to save mankind within the legitimate guidelines derived from the spirit of sharia purposes.


### المقدمة

منذ فجر الإسلام وبعد قيام المشروع الإسلامي العالمي على أرض الواقع ممثلا بمنظومة قيم تحكم علاقات المجتمع الإنساني المستمدة من الوحي وعلى شكل تفاعل متبادل بين الوحي والواقع، وبين الروح والمادة، وبين السماوي والأرض، وهذا المشروع يواجه من قبل مشاريع أخرى أحادية النظرة، مادية صرفة تارة، وروحية مثالية تارة أخرى.

وعلى رأس هذه المشاريع المشروع الغربي، فقد شهد التاريخ العديد من حلقات الصراع بين الإسلام كمشروع قيمي إنساني عادل، وبين المشروع الغربي القائم على الهيمنة والاستغلال.

وقد أخذ المشروع الغربي عدة أشكال وتسميات؛ فبدأ بطابع ديني على شكل حملات صليبية استهدفت البلاد الإسلامية أو بالأحرى استهدفت الإنسانية؛ لأنه حتى الإنسان الغربي نفسه لم ينجُ من ظلم هذا المشروع، ثم جاءت الرأسمالية الغربية وفرضت هيمنتها على منطقتنا ومناطق أخرى على شكل استعمار عسكري، استمر فترة من الزمن وقد تعرض خلالها إنساننا لكثير من أشكال الظلم والقتل والاستعباد، كما تعرضت ثقافتنا لاهتزازات عنيفة ولولا عمق جذورها الضاربة في الأرض وثقة إنساننا بها، لكانت عرضة للزوال كما حصل لسكان استراليا الأصليين، والهنود الحمر في الأمريكتين.

ثم استطاعت منطقتنا بعد نضال قُدِّمت فيه التضحيات الكثيرة الحصولَ على الاستقلال، ولكن لم يزد هذا الاستقلال على شكله الجغرافي المتمثل في تشكل عدة دول قطرية عربية مشتتة في حين بقيت التبعية الاقتصادية والثقافية للغرب، خاصة في ظل تغييب الشعوب عن أخذ دورها.

وها هو المشروع الغربي يطل علينا تحت مسمى جديد هو العولمة أو النظام العالمي الجديد.

وقبل الحديث عن مفهوم العولمة أو أبعادها ينبغي التنبه لنقطة مهمة جدا هي أن لا ننظر إلى العولمة كشيء منفصل عن الحضارة الغربية ومرتكزاتها ونظرتها إلى الحياة والإنسان، فان العولمة وليدة لمادية الغرب واستهلاكياته وعنصريته، وهي التعبير الحقيقي لمقولة (شعب الله المختار).

## الفصل الأول: العولمة

### المبحث الأول: تعريف العولمة

#### المطلب الأول: العولمة لغة

العولمة ثلاثي مزيد يقال عولمة على وزن قولبة وكلمة العولمة نسبة إلى العالم بفتح العين واللام أي الكون وليس إلى العِلْم بكسر العين، فالعولمة كالربـاعي في الشكل مثل دحرجة أما عولمة فرباعي مخترع إن صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها[1].

ويرى بعضهم أن العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم[2].

وقد قرر مجمع اللغة العربية في القاهرة إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالميا[3].

## المطلب الثاني: العولمة اصطلاحاً

(العولمة؛ هذه الكلمة الغربية التي لا تحمل في شكلها وصورتها أي معنى اهتياجي أو ديناميكي، كما أنها لا تحمل منطقا صراعياً أو عدوانياً، إنها كلمة من ذلك النوع الذي يحمل زهدا ووعودا وقوة معترف بها تعبيرا عن إرادة غربية شاملة)[4].

هذا ظاهر كلمة العولمة لكن ما هي حقيقة هذه الكلمة وجوهرها وهل هي غطاء للأهداف الغربية وخاصة الأمريكية في السيطرة على الشعوب وطمس هوياتها كما كانت الحروب الصليبية تتخفى تحت التسميات الدينية، بينما هي في حقيقتها استعمار عسكري.

بداية لا بد من التمييز في فهم العولمة بين مفهومين، وإن كان هذا التمييز لا يلغي التداخل بينهما إلا أنه يساعد على الفصل بين الجزء الايجابي لهذا المفهوم، وبين ما ينبغي علينا التصدي له ومواجهته بدقة أكثر حتى نتمكن من حماية (الإنسان) والبشرية من ظلم مشروع العولمة والقائمين عليه

**المفهوم الأول:** العولمة باعتبارها نتاج عمليات موضوعية معقدة تشمل مجالات الاقتصاد والتقنية ووسائل الاتصال[5].

ضمن هذا المفهوم لا توجد مشكلة أو خطورة تشكلها العولمة على ثقافتنا وإنساننا وقيمنا، فليس منطقيا أن نقف موقفا سلبيا أمام هذه التطورات الموضوعية، بل يمكن استغلال هذه الوسائل ليس على شكل مستهلكين لها وإنما

على شكل تفاعل حقيقي بين قيمنا ورؤيتنا للإنسان والحياة وبين هذه الوسائل في بناء مشروع، ثقافي إسلامي حضاري إنساني للوقوف في وجه المشروع الغربي.

**المفهوم الثاني**: العولمة باعتبارها تعبيرا إيديولوجيا يعكسُ سعي الولايات المتحدة لأمركة العلم وإخضاعه لزعامة وحيدة وفرض نمط حياة وثقافة وقواعد سياسية، واجتماعية واقتصادية، تكرس هيمنة الولايات المتحدة وقيادتها للعالم[6].

هنا تكمن الخطورة فهذا الجانب لا بد من التنبه له لأنه يكشف الوجه الحقيقي لفكرة العولمة، وأنها ليست إلا تجنٍّ جديد تمارسه الحضارة الغربية على الإنسانية واستعمار بثوب جديد، لم تعهده البشرية من قبل، يتناسب مع حجم وسائله المتطورة والحديثة كالانترنت، ووسائل مؤسسات المال العالمية في تحقيق الأرباح ومصادرة ثروات الشعوب الفقيرة.

إن هذا الفكر العولمي الجديد مهما بلغ درجة عالية من القوة والاستعراض فانه لا يتجاوز المبدأ الأساسي للغرب: مبدأ الاستحواذ على العالم[7].

يقول الدكتور حسن حنفي في وصف العولمة: إنها أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الغربية (الأوروبية) في العصر الحديث، وهي تعني مزيدا من تبعية الأطراف للمركز، تجميعا لقوى المركز وتفتيتا لقوى الأطراف وتقذف عليها مفاهيم جديدة أشبه بالسوط على ظهر من لا يدخل بيت الطاعة في النظام العالمي الجديد[8].

يعتمد النظام العالمي الجديد (العولمة) على الاقتصاد كسلاح يمكن من خلاله السيطرة على كل الدول النامية، من خلال فتح الحدود ورفع القيود الحكومية عن حرية حركة رأس المال.

وقد استطاعت مؤسسات المال العالمية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومن خلال معاهدات التجارة الدولية أن تلزم الحكومات والدول بالاستجابة لكافة الشروط التي تتطلبها عملية العولمة كإزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة العالمية وتوسيع الخصخصة على جميع القطاعات

فالعولمة بهذا المعنى ليست عملية طبيعية نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجيا، إنها نتاج سياسة أحادية ففي كل ثقافة وفي كل تشريع جديد كانت قرارات الحكومات والبرلمانات هي التي أزالت الحدود السياسية لاجتياز الحدود بحرية أمام رأس المال والبضائع[9].

وواضعو هذه السياسة الأحادية هم مجموعة من أصحاب رؤوس الأموال، ومالكي الشركات العابرة الحدود، والمتعددة الجنسيات ومجموعة من الزعماء السياسيين وخبراء الاقتصاد، ففي فندق فيرمونت في سان فرانسيسكو كانت أحلام طبقة الأغنياء في العالم تعيش وتتماهى، وكان هؤلاء المجتمعون يخططون لتقرير مستقبل الإنسانية وفق ما أطلق عليه مجتمع العشرين بالمائة الذي سيعيش برفاهية تامة والبقية ستعيش على الخبز والتسلية تحت خط الفقر[10].

وهنا ملاحظة مهمة تستدعي منا التوقف هي: أن القائمين على هذا المشروع هم أصحاب رأس المال أو الأغنياء أو كما وصفهم القرآن (المترفون) وأن نظرة إلى الآيات القرآنية، التي تتحدث عن هذه الطبقة كظاهرة تاريخية وجدت في كافة المجتمعات، تكشف لنا خصائصها التي تتمثل في التعلق بالدنيا واعتبارها نهاية العالم وهدف الإنسان الوحيد، والمبالغة في السعي للحصول على اللذة حتى ولو كان ذلك على حساب الأخلاق، وعدم ممانعتها في استنزاف ثروات البشرية، ومقاومة كل المشاريع الإنسانية الأخلاقية التي تدعوا إلى احترام الإنسان وحريته وكرامته، وهذه الطبقة هي التي كانت تقف في وجه الأنبياء.

وهذا يؤكد حقيقة أن صراعنا ليس صراعا بين دولة وأخرى، أو شرق وغرب، وإنما هو صراع بين اللاإنسان والإنسان بين طبقة مترفة لا تؤمن باله خلق إنسانا حرا له كرامته وفئة تدافع عن الإنسانية وأخلاقها من خلال التمسك بالمنهج الذي أنزله الله على أنبيائه على مر تاريخ البشرية. لذلك سأتحدث عن هذه الطبقة (المترفون) بقليل من التفصيل بعد الحديث عن العولمة في نهاية هذا البحث، نعود إلى العولمة هذا المشروع الغربي الصهيوني أين هو من القيم الأخلاقية؟ وما هو موقع الإنسان فيه كانسان؟ وما هو سلم أولوياته؟ ثم ما مدى محافظة هذا المشروع على خصوصيات المجتمعات؟ ماذا سيحل بالسيادات الوطنية في ظل هذا المشروع؟ والى أين سيقود هذا المشروع الإنسانية؟

## المبحث الثاني

## الإطار المعرفي للعولمة

سيتم الحديث عن الإطار المعرفي للعولمة مع التركيز على الغائية والمقاصدية لهذا المشروع الغربي.

### المطلب الأول: العولمة والقيم الإنسانية

ونقصد بالقيم هنا كرامة الإنسان وحريته، وأخلاقه، والمساواة، والعدل، وغيرها من القيم التي أرست دعائمها الشرائع السماوية، وتوصلت إليها العقول السوية بحيث أصبحت جزءا مهما من تراث الإنسانية ومقدساتها التي لا يمكن المساومة عليها والعبث بها.

وبما أن المجتمعين في فندق فيرمونت هم واضعو هذا المشروع والقائمون عليه فان تتبع بعض تصريحاتهم وأفكارهم التي طرحت في ذلك الاجتماع يكشف لنا مدى احترام هؤلاء للقيم الإنسانية ويظهر أيضا موقع الإنسان في بنية هذا المشروع وفلسفته.

فمصطلح (التيتي تين منت) الذي يعني (الخبز والتسلية) أو (الخبز والسيرك) يدل على النظرة الاستهلاكية المادية التي يقوم عليها هذا المشروع ومصطلح (مجتمع العشرين بالمائة) يبرز ويؤكد فلسفة العولمة القائمة على العنصرية، وعدم المساواة وهذان المصطلحان وضعت مسودتهما تلك النخبة المجتمعة في سان فرانسيسكو ومحصلتهما 80% من سكان العالم بالخبز والسيرك للمحافظة على الأمن والسلام

في العالم، الذي ينعم بالحياة الفعلية فيه 20% فقط من سكانه أي أن قضية العدل والمساواة وحق الكل في العيش الكريم غير واردة في حسابات هؤلاء، فهم معنيون بطبقة معينة لا تمثل سوى 20% من الناس ستعيش في رفاهية تامة وتنعم بمعظم خيرات العالم بينما سيعيش ال80% الباقون كعبيد في مصانع تلك الطبقة وشركاتها.

وحسب آخر الإحصائيات لعام 1998 فان 350 مليار دولاراً عالميا يستحوذون على دخول تعادل دخول 95% من سكان العالم فقد أصبحت عائدات الكتل الأكبر من ثروات البشرية حكرا على بضع مئات الأفراد[11].

إن الأقطار الثرية التي تشكل 20% من دول العالم تستهلك 85% من خشب العالم، و75% من المعادن، و70% من الطاقة[12].

فهل هذه الأرقام تدل على وجود قيمة للعدل في مشروع كهذا المشروع؟ علما أن المواد الخام في اغلب الأحيان تحصل عليها الدول الغنية من أراضي الدول الفقيرة وخيراتها إما من خلال القوة والاحتلال العسكري أو من خلال قيادات عميلة تتحكم في مصائر تلك الدول والشعوب المستعبدة؛ ففي أفريقيا التي تعتبر من أغنى بقاع العالم بمواردها الطبيعية لا يجد الإنسان ما يأكله وتحت سطوة الاستعمار الغربي وقوته ولا إنسانيته فقدت تلك القارة معظم بنيتها التحتية وعاشت معظم دول أفريقيا مجاعات أودت بحياة الملايين تحت سمع القائمين على المشروع الغربي وبصرهم.

وكثير من الحروب الداخلية في تلك القارة نشبت تحت عدة مسميات وكانت ترعاها الدول الغربية ففي جنوب أفريقيا ونتيجة للتمييز العنصري سقط الآلاف من الناس وفي رواندا قتل أكثر من مليون إنسان في الصراع الذي دار بين قبائل الهوتو والتوتسي.

إنَّ كرامة الإنسان وحياته لا اعتبار لهما ولا قيمة إلا لتلك الطبقة من الأغنياء ولذلك الغربي واليهودي الذي يعتبر نفسه صنفا مميزا عن بقية الناس.

إن مقارنة بسيطة بين مواقف الغرب وما يسمى بهيئة الأمم المتحدة التي تعتبر أداة من أدوات الغرب الاستعمارية تجاه القضايا المعاصرة كالموقف تجاه والسودان والبوسنة والهرسك وأفريقيا وبالمقابل الموقف من إسرائيل هذه المقارنة كفيلة وحدها بتأكيد حقيقة أن لا كرامة للإنسان ولا قدسية لحياته في نظر هذا المشروع.

وعندما قررت بعض الدول التغريد خارج سرب منظومة النظام العالمي الجديد وبناء قوة تحفظ لها سيادتها الوطنية وتحررها من التبعية استنفر الغرب كل طاقاته للقضاء على هذه الظاهرة التي تسعى للتحرر، والتي لا تنسجم مع مشروع العولمة الغربي الذي يقوم أساسا على الاستحواذ على خيرات الدول وسلبها سيادتها الوطنية.

ومقابل انعدام القيم الأخلاقية وفقدان الإنسان لكرامته في فلسفة العولمة ومادية حضارة الغرب تعلو قيمة رأس المال، ففي ظل هذا المشروع ستصبح

السيادة لرأس المال الذي لا يوجد في منظومة قيمه أي اعتبار إنساني وإنما يقوم على فكرة الاستهلاك وتحقيق الأرباح[13].

يقول جون كايج مدير شركة مايكرو سيستمز المتخصصة في صناعة الحاسوب والذي افتتح النقاش في فندق فيرمونت: (لقد أصبحنا نتعامل بستة مليارات دولار) ثم يلتفت إلى جاره قائلا: (إن أحدا لم يحقق مثل انجازاتنا يا ديفيد)[14]. فالإنسان ليس له أية أولوية في سلم أولويات العولمة، فنحن الآن نسمع ونلاحظ اهتماما متزايدا بنظافة البيئة، حتى صارت نظافة البيئة كما يبدو أكثر أهمية من إيجاد وظائف جديدة أو من الأمن الاجتماعي[15].

وفي غياب القيم الأخلاقية التي نادت بها الشرائع السماوية وذوو العقول السوية من بين المجتمعين في فندق فيرمونت والمنظرين القائمين على مشروع العولمة وعدم الاهتمام بالبناء الروحي للإنسان واعتباره مجرد مستهلك فقط فان الإنسان الغربي نفسه سيقع فريسة لظلم هذا المشروع.

فعلى المستوى العالمي ثمة أكثر من 40 ألف شركة متعددة الجنسيات بأحجام وأشكال مختلفة تستغني عن موظفيها متى شاءت دون حسيب أو رقيب[16]؛ فلا يوجد أي ضمان لحق الإنسان في مفاهيم هذه الشركات ما دام الاعتبار الأول للأرباح فقط.

وقد بدأت انعكاسات هذه الفلسفة المادية السلبية تظهر في المجتمع الغربي حيث وصلت الجريمة في أمريكا إلى نسبة مرعبة لدرجة أن ولاية كاليفورنيا (البلد الذي اجتمع فيه واضعو أسس مشروع العولمة ومستقبل الإنسانية كما يزعمون)

التي تصف نفسها أكبر سابع قوة اقتصادية في العالم بلغ إنفاقها على السجون أكثر من إنفاقها على التعليم، ويعيش الأغنياء هناك في ناطحات سحاب جيدة الحراسة، أما المواطنون الأمريكيون فينفقون الآن على حراساتهم الشخصية ضعف ما تنفقه حكومتهم على الشرطة وحفظ الأمن[17].

انه أمر طبيعي ونتيجة منطقية ذلك أن مشروعا يقوم على إلغاء العدل والمساواة وإيجاد الفروق الشاسعة بين طبقات المجتمع، وإثراء طبقة على حساب بقية أفراد المجتمع لن ينتج عنه إلا مجتمع جرائم فاقد للأمن والاستقرار النفسي بحيث يصبح المجتمع بكافة فئاته فاقداً لأهم نعمتين منّ الله بها على الإنسان المؤمن، وهما الإطعام من جوع والأمن من خوف.

بل إن اقرب الناس إلى القائمين على هذا المشروع والمساهمين في بنائه هم أول الضحايا؛ على سبيل المثال كثير من الصحفيين وخبراء الكمبيوتر والممثلين يسافرون أكثر من الدبلوماسيين والسياسيين، ففي الصباح قد يتواجدون في بلدة هنغارية يحررون محادثة ما، أو يتعاملون مع عميل جديد وعند الظهر يقابلون شخصا ما في هامبورغ بناء على موعد سابق، وفي اليوم الثاني هم في مقر شركة في مكان ما، ثم إلى أمريكا أو الشرق الأقصى. إن أي شخص يحتاج إلى بضع ثوان، حتى يتذكر في أي قارة أمضى ليلته السابقة، إن هؤلاء لا يجدون متسعا من الوقت للجلوس مع أصدقائهم أو أقاربهم ومع ذلك فإنهم في كثير من الأحيان موضع حسد الآخرين لمرونتهم ودخلهم المرتفع وأسلوب حياتهم العالمي كما أن هؤلاء الذين

يعملون مجرد خدم عند اللاعبين الكونيين تجدهم في معظم حانات الفنادق الشهيرة وغالبا ما تنتهي ليلتهم بالبكاء يذرفون الدمع بسبب لا جدوى حياتهم[18].

إن ما يمارسه الغرب الآن من ادعاءات باهتمامه بالإنسان هي مجرد تغطية واستغفال للإنسان فمع أن مأساة القارة الأفريقية وصلت إلى قمتها فقد طور المجتمع الدولي ميكانزمات لقمع التفكير فيها، إن تسعة من أصل واحد وعشرين بعثة أمريكية لتقديم المعونات في ما وراء البحار سيتم إغلاقها مع أنها موجودة في أفريقيا[19].

إن العلاقة بين البشر هي علاقة منطقية أو علاقة حرب ولقد فرضت قيادات هذا العصر الأوروبي الأمريكي على البشرية علاقة الحرب والإرهاب طوال الوقت فإذا ما تململ المستضعفون أو جأروا بالشكوى لم يتورع الظالمون من اعتبار تململهم إرهابا وشكواهم تأييدا للإرهاب، معتبرين أن ذلك هو المشكلة الوحيدة والخطر الوحيد داعين إلى قمع المتململين والى ذبحهم أيضا[20] وما جرى لبعض الدول ويجري لها إلى هذه اللحظة خير دليل على ذلك فانه باسم النظام العالمي الجديد تجري عملية إبادة جماعية للشعوب من خلال الحصار المفروض عليه من جميع دول العالم، وكذلك القصف المتوالي ألقيت فيه آلاف الأطنان من القنابل، واستخدمت فيها المواد المشعة مثل اليورانيوم المستنفذ الذي يبقى تأثيره مئات السنين، فموت عشرات الآلاف من الجنود في أرض المعركة، لم يشف غليل الغرب والصهاينة بل إنهم يصرون ويستمتعون بموت العشرات من الأطفال والنساء والشيوخ في تلك الدول كل يوم بسبب سوء التغذية ونقص الأدوية، كل هذا يعكس عدم إنسانية هذا المشروع العالمي وعدم شرعية ما يسمى بالشرعية الدولية

ويفضح كل الدعاوى التسويقية التي يرفعها أصحاب هذا المشروع بين فترة وأخرى عن حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية وما إلى ذلك من شعارات.

ما تبحث عنه العولمة هو تحقيق الأرباح لأصحاب رأس المال فقط، حتى لو كان ذلك على حساب كرامة الإنسان وحياته وأخلاقه وقيمه.

يقول فنسلت تروغيليا رئيس أكبر مؤسسة لخدمات المستثمرين (مؤسسة مودي) التي بناء على تقاريرها عن الدول يقوم المستثمرون باتخاذ قراراتهم بالاستثمار؛ يقول: (نحن لا نصدر أحكاما على الدول، وتصنيفنا ليس أخلاقيا ذلك أن منظومته وتقاليد الدول لا تعنينا كما أننا لا ننصح الدول بما ينبغي أن تفعله)[21].

## المطلب الثاني: العولمة وخصوصية المجتمعات والسيادة الوطنية

السيادة في ظل هذا المشروع ستكون لرأس المال من خلال البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية والشركات متعددة الجنسيات، فان أصحاب هذه المؤسسات هم من سيحركون العالم ويوجهون السياسات بما يحقق لهم الربحية العالية، ومزيدا من استعباد الإنسان وقد بذلت هذه المؤسسات المالية جهودا كبيرة لفرض تشريعات وقوانين في معظم دول العالم لتسهيل مهمتها في قيادة العالم والسيطرة على مقدرات الشعوب.

وقد بدأت هذه التشريعات بإلغاء اتفاق بريتون ووذر الذي كان يحدد ثبات سعر صرف العملات الأوروبية فاستطاعت بذلك التلاعب باقتصاد الدول

وعملاتها من خلال المضاربات التي تجريها في أسواق المال عن طريق الربا الذي ليس فيه للجهد أي دور.

والربا من أخطر القضايا التي استغلتها طبقة المترفين على مر تاريخ البشرية في استعباد الناس لذلك لفت القران الكريم النظر إلى خطورة هذه الآفة على الإنسانية، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[22].

وتنسجم فلسفة الربا مع فلسفة الحضارة الغربية وعولمتها القائمة على إلغاء قيمة العدل كما أنّ الربا قائم على إلغاء قيمة الجهد الإنساني أمام قيمة رأس المال لذلك عقبت الآية القرآنية بان التعامل بالربا يؤدي إلى الظلم.

وقد استطاعت تلك المؤسسات المالية العالمية إجبار الدول على فتح الحدود أمام حركة رأس المال والسلع وخصخصة الصناعات الوطنية، ووضعها بيد المستثمر الأجنبي وطبقة الأغنياء، يقول عالم المستقبل الايطالي ريكاردو اتربيلا: (ستكمن القوة مستقبلا في عصبة من التجار والحكومات المدينية (حكومات المدن) تمارس مهامها على نطاق عالمي وتكون غايتها الرئيسة تطوير تنافس الشركات الكونية التي تستضيفها)[23].

كما استطاعت هذه المؤسسات المالية إيجاد مراكز آمنة لرأس المال في أكثر من بقعة في العالم، وهذه المراكز تفرض ضرائب منخفضة، وقد لا تفرض ضرائب إطلاقا على الاستثمارات الأجنبية، كما أنها تعتبر كشف هوية صاحب الحساب

جريمة معاقبة حتى لو طلبت حكومة ما معرفة حجم حساب شركة أو فرد في هذه المراكز المالية[24].

كل هذه التشريعات وغيرها هي التي جعلت السيادة لرأس المال وألغت سيادات الدول الوطنية. إن أول ما تسعى إليه العولمة إلغاء خصوصية أي مجتمع قيمهِ وفرض منظومة قيم مادية وثقافة استهلاكية.

فهي تعمل الآن جاهدة لرسم خريطة العالم الثقافية وفق تخطيط دقيق ترعاه أرقى المؤسسات العلمية ومراكز البحوث والدراسات الإستراتيجية، متخذة إذابة الحدود الأممية والجغرافية والحضارية منطلقا للترويج لدعوة العولمة البديل الفاعل في مستقبل الحياة، فهي دعوة مستقبلية مفتوحة ومتجاوزة باستمرار للحائل من القيم التراثية بعد أن تزعزع الثقة بها عند المنتمين إليها تمهيدا للتحول عنها تحولا تغييرياً حتى يتم اقتلاع الخصوصيات الحضارية من جذورها[25].

إن الانضمام إلى هذا النظام المالي العالمي، الذي أسمته مجلة النيوزويك (ميثاق الشيطان)، ذلك انه يوفر للحكومة أولا: الوصول إلى الاحتياطات الرأسمالية الكونية بحيث تستطيع اقتراض مبالغ أكثر مما لو اعتمدت على المدخرات الوطنية والأثرياء الوطنيين، غير أن الدخول في نطاق النظام المالي الكوني يقتضي ثمنا باهظا لا مهرب منه، هو التنازل عن بعض أوجه السيادة الوطنية والخضوع لقوى لا يعرف المواطنون عنها أية فكرة[26].

إن خطورة رأس المال أصبحت تأخذ طابعا جديدا إذْ لم يعد بالإمكان تحديد الجهة التي تتلاعب بالأسواق وتهدد الدول وكأنها سلطة مجهولة لا يمكن تحديدها،

أي أصبحت هي الشيطان فعلاً، فبعد عملية درع البيزو، التي تمثلت في إنقاذ عملة المكسيك من الانهيار بدت الحكومات وكأنها تتلقى أوامر من سلطة أعلى مجهولة وهذا الأمر تكرر مع العملة البريطانية والايطالية وقد انتقد هذا الأمر زعماء الغرب السياسيين أنفسهم واعترفوا بالعجز أمام هذه الجهة المجهولة.

ففي نيسان 1995 قال رئيس الوزراء البريطاني جون ميجر بعد أزمة مالية تعرض لها الجنيه الإسترليني: (إنه من غير المقبول أن تحدث هذه الأشياء في الأسواق المالية وفي سرعة وعلى نطاق ليس في وسع الحكومات والمؤسسات المالية السيطرة عليها)[27] ويقول نظيره الايطالي: (انه لا يجوز أن يسمح للأسواق أن تنزل أضرارا فادحه بالسياسات الاقتصادية لدولة ما)[28].

ويعتقد جاك شيراك الرئيس الفرنسي السابق بضرورة إدانة القطاع المالي ككل وان المسيطرين على الأسواق المالية هم (إيدز الاقتصاد العالمي)[29].

غير أن هذه المؤامرة المزعومة ليست مؤامرة على الإطلاق، فلا يوجد تجمع بنوك جشع، يسعى للربح ولا يوجد متآمرون يجتمعون في الغرف الخلفية لإضعاف عملة دولة ما أو لرفع قيمة عملة أو سهم ما إنّ ما يحدث في الأسواق المالية هو عملية دينامية أوجدتها حكومات الأقطار الصناعية الرئيسة فباسم مبدأ الخلاص عن طريق تحرير الأسواق بالكامل قررت تلك الحكومات منذ أول السبعينات وعلى نحو منهجي إزالة كافة الحواجز التي كانت تنظم في الماضي تدفق الأموال وتسيطر على حركتها، أما الآن فإن تلك الحكومات أصبحت مثل الساحر الذي يتذمر 'بأنه لم يعد قادرا على السيطرة على الأرواح التي أطلقها[30].

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن فتح الحدود أمام رأس المال قد أوجد ميكانزمات ألغت سيادة الدول وهو ما يؤدي إلى نتائج أقل ما توصف بأنها فوضى[31].

وقد أصبحت هذه المؤسسات المالية تضغط على كثير من الدول لتدمير مساحات شاسعة صالحة للزراعة لإقامة المصانع عليها ففي الستينات تخلت اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان عن 40% من أراضيها الزراعية لبناء مصانع جديدة، وفي إندونيسيا يتم إفساد وتدمير 20000 هكتار من الأراضي الزراعية في جاوا وحدها كما أن الصين والهند تتعرضان لإغراءات كثيرة فيما يتعلق بتدمير الأراضي الزراعية لإنشاء صناعات السيارات عليها[32].

وهذا هو ما تسعى إليه أمريكا لتتمكن من السيطرة على الدول من خلال سلعة واحدة هي القمح بعد أن تكون كثير من الدول قد خسرت كثيرا من الأراضي الزراعية.

يقول ليستر براون احد أشهر أعلى الأصوات التي تحذر من كارثة بيئية: (إن الدول المنتجة للقمح تصدر 200 مليون طن سنويا ونصف هذه الكمية من أمريكا) ويستنتج براون أن أمريكا الدولة العظمى حتى في الغذاء خلال السنوات القادمة ومن الطبيعي أن يستغل الغذاء كوسيلة ضغط[33].

وفي بلادنا العربية أعتقد أن أمريكا الآن قادرة على السيطرة على كل مقدراتنا وإلغاء سيادتنا من خلال مادة القمح وحدها إذ إن معظم الدول العربية

تعتمد على القمح الأمريكي بعد أن أتت السياسات الزراعية الخاطئة على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية.

لقد كان الوطن العربي حتى عام 1960 يؤمن ذاتيا حوالي 75% من حاجاتنا الغذائية. وفي إحصاءات عام 1998 فانه يؤمن ذاتيا حوالي 48% من هذه الحاجات[34].

إن هذا التراجع أخذ في الازدياد في السنوات الأخيرة وهذا ينذر بالكارثة ويؤكد خطورة العولمة وقدرتها على إلغاء السيادة الوطنية بتهديد الحكومات بقطع إمدادات القمح فقط.

وهكذا فان العولمة لم تعد مسألة استعمار ثقافي أمريكي في القطاع الترفيهي كما ظن وزير الثقافة الفرنسي الأسبق جاك لانغ فأمريكا وهي القوة العظمى حسب تعبيره لم تقرر نوع الألعاب والمنافسات الرياضية بل إنها ستقدم الخبز أيضا، فهل كان بريجنسكي يدرك هذه الحقيقة عندما استخدم أمام براون وكافة المؤتمرين في الفيرمونت اصطلاح (التيتي تين مينت) أي الخبز والتسلية؟[35].

إن الذين يديرون تدفق رؤوس الأموال العالمية بدؤوا يخفضون أجور المستخدمين والأجور تعتبر جزءاً من الثروة الوطنية، وهي آخذة في الانخفاض على النطاق العالمي ولكن لا توجد دولة قادرة على مقاومة الضغط بهذا الصدد في حين أن أسعار الأسهم وأرباح الشركات تتضاعف على شكل قفزات[36].

أين هي إذن السيادة الوطنية التي أصبحت عاجزة عن حماية مواطنيها من جشع أصحاب رؤوس المال العالمية؟

وأما ما يجري في بعض الدول فهو أيضا ثمرة من ثمار مشروع العولمة وبرنامج التصحيح الاقتصادي – حسب زعمهم – الذي يفرضه صندوق النقد الدولي على الحكومة الجزائرية. فقد مكنت بعض الجمعيات التعاونية في بلدان الدول النامية الملايين من الفلاحين من بناء تعاونيات زراعية واسعة مملوكة لهم مباشرة، ومن الصعب انتزاعها منهم وهؤلاء الفلاحون لهم تقاليد عنيفة تجاه أية سلطة خاصة إذا حاولت انتزاع الأراضي منهم وهدم التعاونيات التي بنوها ولكن إصرار البنك الدولي وصندوق النقد الدولي على بعض حكومات البلدان النامية بإجراء برنامج تصحيح اقتصادي وفقا لشروطهما التي تهدف أول ما تهدف إلى إجبار الفلاحين على ترك أراضيهم والتحول إلى معازل بشرية بائسة حول العاصمة.

فعلى الرغم من علم الحكومات بالمظالم التي ستلحق بالفلاحين نتيجة شروط صندوق النقد الدولي، إلا أنها لا تملك إلا الإذعان والانصياع؛ لأنه لم يعد لها من سيادتها الوطنية شيء سوى مجموعة من الكراسي والسيارات ومصالح لفئة قليلة من الشعب، تتمثل بمجموعة من السياسيين وطبقة الأغنياء.

## المطلب الثالث: العولمة ومستقبل الإنسانية

إن أي مشروع يطرح للعمل على أرض الواقع يتم قبوله بمقدار ما يحترم حرية الإنسان وكرامته وقيمه فهل العولمة أو النظام العالمي الجديد الذي يرعاه الغرب معني بذلك؟؟ والى أين سيقود هذا المشروع الإنسانية؟؟

كما ذكرت في بداية البحث إن العولمة هي إفراز لحضارة الغرب المادية وفلسفته الاستهلاكية النفعية، يرى ماكس فيبر أن رشد الحضارة الغربية الحديثة ينصرف إلى الإجراءات وحسب ولا ينطبق على الأهداف فهو ترشيد مادي إجرائي أداتي منفصل عن القيم والعاطفة وإنه لهذا السبب سينتهي بالإنسان إلى (القفص الحديدي) حيث يوجد فنيون بلا قلب حسيون غير قادرين على الرؤية.

يتساءل مؤلفو كتاب مصيدة العولمة: هل العالم كله سوق واحدة تزدهر فيها التجارة السلمية؟ ألا يحقق ذلك حلما قديما للإنسانية، ألا ينبغي لنا نحن الذين نعيش في الأقطار الصناعية أن نبتهج لتقدم وازدهار الكثير من الأقطار النامية؟؟ الجواب كلا بالطبع، إن نبوءة مارشال ماكلوهان عن القرية العالمية لم تتحقق ورغم أن الكثير من المحررين والصحفيين والسياسيين يرددون هذه العبارة فنحن جميعا ندرك أن العالم لم يتوحد، صحيح أن أكثر من مليار مشاهد شاهدوا على شاشات التلفاز مباراة الملاكمة بين إكسيل شولز وميشيل مور في حزيران 1996 وقبل افتتاح الألعاب الاولمبية في أطلنطا التي شاهدها أكثر من 3 مليارات شخص حول العالم غير أن ذلك لم يحقق التفاهم بين الشعوب على أي صعيد[37].

مقدمات كمقدمات مشروع العولمة مثل القيمة العليا للأرباح ورأس المال، والعنصرية الغربية، وإلغاء كرامة الإنسان، وحق العيش القصور على طبقة مترفة تمثل 20% من سكان العالم واستئثارها بثروات الكرة الأرضية، وطمس خصوصيات المجتمعات، ومصادرة السيادة الوطنية، كل هذا كيف له أن يقود إلى عالم يسوده الاستقرار والأمان؟!

إن شعور الإنسان في منطقة ما من هذا العالم بأن من يستأثر بخيرات وطنه مستثمر أجنبي سيدفعه باتجاه واحد هو العداء لكل ما هو أجنبي، فبعد أن تظهر الآثار السلبية للعولمة، تتحكم مؤسسات المال العالمية بمستقبل الإنسانية سيدرك المواطنون في أي بلد، ما هي معادلة العولمة وان المنافسة الأجنبية هي موضع اللوم، وسيدركون أيضا أن المفروض أن يدافعوا عنهم لم يعودوا موضع ثقة وهذا يعنّي أننا سنقترب كثيرا من العداء السافر لكل أجنبي، إن ملايين المواطنين من الطبقة الوسطى التي لم تعد تشعر بالأمان فأخذوا يبحثون عن الخلاص من إرهاب الأجانب والميول الانفصالية وفك الارتباط بالسوق العالمي(38).

ولما كانت أولى نتائج العولمة إيجاد طبقة مترفة حد البذخ وطبقة فقيرة مستعبدة، وثانيها مصادرة السيادة الوطنية للحكومات التي ستكون مضطرة تحت ضغط مؤسسات المال العالمية إلى اتخاذ تدابير وسن تشريعات في أغلبها لا تخدم المواطن فان صراعا سينشب بين طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء من جهة وبين المواطنين والسلطات الحاكمة من جهة أخرى؛ لذلك ستأخذ الصراعات في المستقبل طابع الحروب الأهلية.

ومن ناحية أخرى فان رعاية المؤسسات المالية لكثير من الدراسات والبحوث عن الأقليات العرقية والطائفية من أجل إبراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثنائية للقضاء على وحدة الثقافة ووحدة الوطن ووحدة التاريخ ووحدة المصير، وكلّ هذا سيؤدي إلى نفس النتيجة السابقة (الحروب الداخلية) كما هو الحال في العديد من الدول.

فعلى عكس حروب القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ستندلع معظم حروب المستقبل ليس بين الدول ولكن داخلها ففي عام 1995 حدثت 50 حربا منها حربان فقط بين دولتين هما الحرب بين البيرو والإكوادور، وبين لبنان وإسرائيل، وبقية الحروب أهلية[39]، وما يجري الآن في العالم من حراكات شعبية ضد الفساد السياسي والاقتصادي والفقر والبطالة وجشع التجار أكبر دليل على الدمار الذي تقود العولمة البشرية إليه.

فالمسالة لم تعد مسالة عنصرية بين شرق وغرب إذ نجدُ أنه أيضاً في تلك الدول الرأسمالية الكبرى بدأت شعوبها بالاكتواء بنار سياط العولمة لذلك نرى حراكات هنا وهناك تطالب بإعادة النظر بمنهجيات فلسفة الرأسمالية والعولمة، وإذن نحن أمام صراع من نوع آخر؛ بين مشروع ظالم ومشروع عادل، بين مشروع يلغي الإنسان وكرامته ومشروع يتمركز حول الإنسان وكرامته.

أما على صعيد الفرد فان قيام مشروع العولمة أساسا على فكرة الاستهلاك، وجعل هاجس الإنسان منصبا على هذه القيمة ستصنع له العديد من الأزمات، لأنه سيحدث خللاً عند هذا الإنسان بين الفكرة المفروضة عليه وبين أشواقه الروحية؛ لذلك ستكثر الجرائم، وحالات الانتحار، والمخدرات، والاضطرابات النفسية، بسبب شعور الناس بعدم جدوى حياتهم، وهو ما عليه حال المجتمعات في هذه الأيام وخاصة الغربية منها.

إنّ العالم لا يتغير باتجاه المزيد من التقدم، والمزيد من الرفاه وإنما باتجاه التحلل والتشظي وتدمير البيئة والتشويه الثقافي. إن هذه المؤشرات تصوغ حياتنا

اليومية على نحو متسارع أي أن الإنسانية تعيش أزمة حقيقية في ظل مشروع العولمة[40].

## المطلب الرابع: العولمة والمترفون

في بداية هذا البحث ذكرنا أن واضعي مشروع العولمة هم مجموعة من أصحاب رؤوس الأموال والشركات الكبرى في العالم من خلال واجهات سياسية صنعتها أموال هذه المجموعة، وهذه الشركات ويمكن تسمية هذه الفئة كما سماها القران الكريم (المترفون).

ويبدو من خلال تتبع الآيات القرآنية أن هذه الفئة أخذت سمة السنة التاريخية حيث لم يخلُ مجتمع منها لذلك كثر الحديث في القران الكريم عن المترفين وقد بين خصائصهم النفسية والاجتماعية وأكد على خطورة هذه الفئة على المجتمعات، فقد ورد في أكثر من سورة من سور القران الكريم بيان وتفصيل لذلك، وهذه السور هي: (هود الآية 116، الإسراء الآية 16، الأنبياء آية 13، المؤمنون الآية 33 و64، سبا الآية 34، الزخرف الآية 23، الواقعة الآية 45).

كما أن تتبع هذه الآيات والسياق الذي وردت فيه يكشف لنا مواصفات هذه الشريحة الاجتماعية، وأهم هذه المواصفات:

1. **إصرار هذه الفئة على عدم قصدية الحياة** واعتبارها نهاية كل شيء لذلك فإنها تبالغ في ملذاتها وتلغي الأخلاق والقيم أمام عبوديتها لشهواتها ففي سورة (المؤمنون) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ

وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [41].

وفي سورة الواقعة قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ [42].

وهذا الإصرار تنعكس آثاره على المجتمعات كلها إذْ تصبح هذه الحياة حلبة صراع بين أناس يتسابقون في إشباع ملذاتهم وشهواتهم.

2. **المحافظة على الوضع القائم والاعتزاز بتراث الآباء**، والوقوف في وجه أي مشروع يعطي للحياة قصدية وغاية ويعطي للإنسان حرمة وكرامة.

ولننظر إلى سورة الزخرف التي تبرز هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [43].

أما رفض هذه الفئة لكل مشروع حضاري إنساني، ورفضهم لدعوات الأنبياء فقد ورد أكثر من موضع تأكيد لهذا الرفض.

وفي سورة المؤمنون ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ ويستمر السياق في الحديث عن أقوال هؤلاء المترفين إلى أن قالوا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [44] فهجومهم على صاحب الرسالة من خلال الإصرار على بشريته ووصفه بالكذب لا لشيء إلا لأنه يحمل تصورا جديدا للحياة وللإنسان يصطدم مع نظرهم المادية الاستهلاكية.

وفي سورة المؤمنون أيضا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ... ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [45] فرفضهم لدعوات الأنبياء الإصلاحية وكرههم للحق والاستكبار ديدنهم الذي لا يتخلون عنه حماية لمصالحهم ومكتسباتهم في سورة سبأ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [46] وفي سورة الزخرف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [47] فلا تعنيهم الهداية بمقدار ما يعنيهم إتباع الآباء وبمقدار ما تعنيهم شهواتهم.

3. **الظلم**: وهو صفة لصيقة بهذه الفئة أو يمكن القول إن الظلم نتيجة حتمية للترف ذلك أن إصرارهم على النظرة المادية للإنسان والمبالغة باللذات

والشهوات دون اعتبار لقيمة الروح الإنسانية والقيم الأخلاقية لا بد أن يكون على حساب الإنسان والمجتمع ففي سورة هود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[48] وفي سورة الأنبياء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[49].

4. **تحكم هذه الفئة بالمجتمع علامة انهياره على كافة المستويات،** أو يمكن القول أن تواطؤ السلطة الحاكمة في مجتمع ما مع طبقة المترفين يقود إلى حتمية تاريخية هي هلاك المجتمع بحيث يسود الظلم والإجرام والفوضى ففي سورة الإسراء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[50].

وفي سورة هود ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[51].

وفي سورة الزخرف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[52] فالانتقام والهلاك هما النتيجة الطبيعية لمجتمع تتحكم

فيه فئة المترفين ويغيب عنه وجود فئة مصلحة وهذه سنة إلهية من السنن التي تحكم التاريخ والمجتمعات.

والعولمة بمعناها الإيديولوجي إخطبوط اذرعه رأس المال، والنظرة المادية الاستهلاكية للإنسان والحياة، والربا، والتحرر من القيم الإنسانية والأخلاق. وهناك عوامل مشتركة بين هذه الأذرع واعتبار الإنسان مجرد جسد نفي للجزء الأهم في الإنسان وهو الروح. والربا نفي للإنسان وجهده وتقديس لرأس المال والربح. والتحرر من القيم تجريد للإنسان ونفي لكرامته وعلو قدره من اجل لذة وشهوة عابرة. وكل هذه الأذرع بمجموعها تشكل مشروع العولمة العنصري الذي لن يقود الإنسانية إلا إلى مزيد من الظلم والفوضى والانحلال والاستعباد وبالتالي الهلاك.

## الفصل الثاني: عالمية رسالة الإسلام

### المبحث الأول: تعريف العالمية

يقصد بعالمية المشروع الإسلامي أنه مشروع لا يختص بقوم ولا عرق ولا فئة، بل هو لكل البشرية ومعالم هذه العالمية في الكتاب والسنة ظاهرة بينة، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[53] وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾[54].

ويقول النبي ﷺ: «... وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[55]، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن احد من الأنبياء قبلي.... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[56].

إن عالمية المشروع الإسلامي الذي يجب طرحه في مواجهة المشروع الصهيوني الغربي العالمي الظالم ليس ردة فعل على عالمية هذا المشروع وإنما هي أصيلة وصميمية في الإسلام.

وعالمية المشروع الإسلامي الحضاري الإنساني قيمة ثابتة لا يمكن الغاؤها وتجاوزها وقد نادى بها الرسول ﷺ منذ بداية دعوته، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[57].

إنّ عالمية المشروع الإسلامي وإنسانية هذه الرسالة ليس الهدف منها مصالح براجماتية، وفتح الحدود أمام رأس مال المحتكرين والشركات العابرة للقارات، التي تهدف إلى استعباد الإنسان والسيطرة على الشعوب الضعيفة، وتحقيق الأرباح الفاحشة بل إنما عالمية رسالة الإسلام بحد ذاتها قيمة وهدف، فهي رحمة وعناية لكل البشرية وحماية لها من كل مشاريع الطغيان، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[58].

وهي تعني أن ينضبط جميع البشر وحركة الكون بمجموعة قيمها (وحدة الرب وربوبيته لكافة البشر، وكرامة الإنسان، والحرية، والعدل، والمساواة...).

وعالمية الرسالة الإسلامية لا تعني إجبار الناس على أن يدينوا بالدين الإسلامي، لقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (59) فالناس مشتركون في معنى الربوبية، أما مسالة الألوهية فهذه تترك لحرية الإنسان امتثالا للنص السابق ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ وإنما تعني أن القائمين على هذا المشروع معنيون بالإنسان وصون كرامته وعدم الاعتداء على حريته مهما كان دينه ولونه وجنسه ولغته.

وهذا لا ينفي حرص الإسلام على دخول كل الناس في الإسلام كديانة، ولكن ذلك لا يكون إكراها وإنما اقتناعا، فمن لم يحقق ذلك فله كرامته وحريته وإنسانيته في اختيار الدين، فعدم دخول الإنسان في الإسلام ليس مبررا لهدر كرامته وإنسانيته.

ومن تتبع فترات من تاريخ الدولة الإسلامية يجد أن أهل الكتاب عاشوا في ظل قيم هذه الرسالة عيشة لا مثيل لها في أزهى عصور النصرانية من حيث احترامهم ومنحهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية، وهذا ما وصفه المستشرق بروكلمان في دراسته للتاريخ الإسلامي. وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى رجلا ذميا عاجزا فقال: (ما كان لنا أن نأخذ منك الجزية في شبابك وندعك في شيخوختك) ثم صرف له راتبا من بيت مال المسلمين.

وعالمية المشروع الإسلامي نابعة أصلا من توحيد الله وربوبيته لكل المخلوقات، فما دام أن مصدر قيم هذا المشروع هو الله. سلطة واحدة، وجهة واحدة، فكل إنسان له حق في هذا المشروع وكل إنسان يقع تحت دائرة اهتمام

هذا المشروع وعنايته. على عكس من يجعل إلها خاصا لشعب دون شعب كما فعلت اليهودية مثلا.

إن الفرق بين المشروع الغربي وعولمته وبين عالمية المشروع الإسلامي فرق مفصلي فالأول يهدف إلى استعباد الناس لرأس المال والشركات الغربية والتمييز بين الناس على أساس اللغة واللون والجنس، أما الثاني فانه يهدف إلى تحرير الإنسان من العبودية والذل وربطه بمعبود ورب واحد هو الله تعالى، تنظيم علاقته بهذا الخالق من خلال القيم السماوية التي تطرحها هذه الرسالة.

وهوية المشروع الإسلامي العالمي مجموعة قيمه وليست حدود جغرافية أو مصالح معينة، فالحدود الجغرافية تؤخذ بالحسبان للعمل كإستراتيجية تكتيكية ونقطة انطلاق، وكعملية انسجام مع الواقع.

ومن أهم الأمور التي يجب التنبه لها أنه لا يمكن للمشروع الإسلامي أن يتصالح ويلتقي مع قوى الظلم والطغيان وأي مشروع غير إنساني. لأن هذا يعتبر خيانة لقيم المشروع الإسلامي العالمي الإنساني وهويته، بل يجب أن يكون من أولويات هذا المشروع صد أي مشروع غير إنساني ومواجهته ونقضه فكريا ومحاربته على كافة المستويات. فالمشروع الإسلامي معني بحماية المسلم وغير المسلم، العربي والأفريقي، وحتى الغربي نفسه من الظلم الواقع عليه.

## المبحث الثاني: المنظور الكلي المعرفي لمشروعنا الإسلامي

لا بد للإنسان في ظل هذا المشروع الإسلامي من تحديد نظرته وبيان موقفه تجاه كل من (الله، الإنسان، الكون، الحياة) حتى تنضبط سلوكياته وحياته بما ينسجم مع هذه النظرة وهذا الموقف.

### المطلب الأول: الله تعالى

الله رب العالمين، خالق كل شيء، واحد. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[60].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[61] والنصوص التي تؤكد حقيقة وحدة الرب والإله كثيرة جدا وتوحيد الله ليس الهدف منه مجرد ذكر الوحدانية واعتبارها مجرد معرفة ومعلومة، ولكن هذا الزخم والكم الهائل من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذه الحقيقة له مدلول وهدف عملي؛ فان توحيد الله يعني توحيد السلطة التي يخضع لها جميع الناس ويعني إلغاء أية سلطة أخرى تحاول استعباد الإنسان ومصادرة كرامته وإنسانيته، وهذا بالنهاية يجعل الإنسان أكثر فاعلية في أدائه لمهمته في خلافة الله في الأرض، إذن لا سلطة للحكومات على الإنسان إلا ضمن حدود القيم التي حددتها السلطة الوحيدة في هذا الكون (الله تعالى) ولا سلطة لرأس المال على الإنسان، ولا سلطة للقوي على الضعيف ولا سلطة للغربي على الأفريقي والشرقي، فإثبات توحيد الله ينفي كل هذه السلطات.

وتوحيد الله تعالى يعني انسجام الإنسان وخضوعه للقيم التي أمر الله سبحانه بها في كتابه وسنة نبيه (خلافة الإنسان لله تعالى، والمسؤولية، والعدل، والحرية، ومجموعة الأخلاق، والتشريعات التي تنظم علاقة الإنسان بالله تعالى وعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالكون).

وتوحيد الله تعالى الذي يترتب عليه توحيد السلطة التي تحدد القيم التي تضبط مسيرة البشرية، هو الضمانة الوحيدة لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى بكافة أشكالها. ويرتبط بتوحيد الله تعالى أمران في غاية الأهمية يحميان الإنسان من الضعف أمام قوى السلطات الدنيوية:

**الأمر الأول: توحيد مصدر الرزق**

فالرازق هو الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [62]، وقال: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [63].

وكثير من النصوص القرآنية تربط الرزق بالسماء وذلك لتحصين الإنسان وحمايته من خوفه على رزقه إن هو خالف قيم الظلم والطغيان فيجعل ارتباطه في قضية الرزق بالله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [64].

وفي حديث النبي ﷺ: «... حتى إذا بلغ أربعين يوما نزل عليه الملك فينفخ فيه الروح ويكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد»[65] تأكيد لهذا المعنى وتعميق له.

وإذا حسمت هذه القضية في وجدان الإنسان فلا يمكن أن يستعبد لأية جهة تدعي أنها تملك منع الرزق عنه، والمشروع الإسلامي العالمي مشروع عملي لم يكتف بان جعل أمر الرزق متعلقا بالاعتقاد فقط بل شرع من التدابير الكثيرة التي تحول دون منح هذا الحق لأية سلطة حتى للدولة الإسلامية، فمنع الاحتكار والربا وشرع الزكاة والصدقات والميراث وكفلت للعاجز عن الكسب العيش الكريم من خلال بيت مال المسلمين (خزينة الدولة) وحرر الأرض التي هي عماد أي إنتاج اقتصادي من أية سلطة؛ فجعل ملكية الأرض لمن أحياها وزرعها، قال ﷺ: «من أحيا أرضا مواتا فهي له»[66]، بل وحتى ملكية الفرد هذه تعتبر استخلافا ما دام يؤدي حق هذه الأرض بان يستثمرها، ففي الفقه الإسلامي من أهمل الأرض دون زراعة واستثمار يمهل ثلاث سنوات وبعدها تعطى لغيره بالشرط السابق نفسه.

وحتى الدولة الإسلامية فإنها لم تمنح حق ملكية الأرض وإنما منحت حق تنظيم توزيعها فقط، فما يسمى الآن بأراضي الدولة ومنح حق ملكية هذه الأراضي للدولة هو تصادم مع توحيد الله تعالى لان ربط أرزاق الناس ومصادر المال والأرض بسلطة معينة يجعل الإنسان عبدا لهذه السلطة خاصة إذا ما هدد في رزقه.

ويضاف إلى ذلك أن الإسلام جعل الضرورات الثلاث (الماء، الطاقة، المراعي) ملك للجميع و لم يجز حق امتلاك شخص أو شركة أو حتى الدولة لهذه المصادر، قال ﷺ: «الناس شركاء في ثلاث؛ الماء والكلأ والنار»[67].

. ومسؤولية الدولة عن هذه الثلاثة فقط تتعلق بتنظيم توزيعها وحمايتها ولا تملك حق بيعها أو حرمان الناس من الانتفاع بها، وان ما يخطط له الآن من خصخصة

للشركات وعلى رأسها الشركات التي تختص بإنتاج هذه الضرورات الثلاث هو أيضا معارض لقيم المشروع الإسلامي العالمي ونقض لتوحيد الله وتبعية لمشروع العولمة الغربي، فان خصخصة هذه الشركات يعني تحكم مجموعة من الأشخاص وربما شخص واحد بضرورات الناس، وبالتالي استعبادهم وإجبارهم على الخضوع لقيم المشروع الغربي الذي لا يرى للإنسان أي كرامة سوى أنها رقم ومستهلك في أسواقهم.

فيمكن القول أن الخصخصة وخاصة لمثل هذه المصادر هو استعباد للإنسان، فتوحيد الله مرتبط بحياة الإنسان على كافة مستوياتها، ومرتبط بكرامة الإنسان، وحريته، ومرتبط بخير الإنسان والأرض والدفاع عن هذه الأمور دفاع عن توحيد الله تعالى.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أيما أهل عرصة – ضيعة وقرية – بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله»[68] ومن برأت منه ذمة الله ماذا يبقى له من توحيده؟؟! هذا في حال عدم إطعام الجائع فماذا نقول فيمن يحارب الناس في أرزاقهم..؟؟

### الأمر الثاني: الموت – الأجل –

إن أجل الإنسان وإنهاء حياته لا يملك تحديده إلا الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[69]، وفي موضع آخر: ﴿ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾[70]، ونصوص

أخرى كثيرة تؤكد أن الله تعالى هو الذي يحيي ويميت، ويراد من هذا بناء الإنسان بناء نفسيا يجعله لا يخشى أية سلطة تحاول تهديده بإنهاء أجله، فإذا كان هذا الإنسان يدرك أن الله هو المحيي والمميت ويعتقد ذلك اعتقادا لا شك فيه فلا يمكن أن يستعبد، والى جانب بناء الإنسان بناء نفسيا واعيا لحقيقة موته ولصاحب الحق في إنهاء الأجل، فانه حرم أي اعتداء على حياة الإنسان، وجعل ذلك من أعظم الكبائر؛ لأنه اعتداء على حق من حقوق الله.

وما يجري الآن من قتل للإنسان في كل أرجاء العالم ما هو إلا بسبب فقه المشروع الغربي الذي يتولى قيادة العالم في هذه الحقبة الزمنية لمثل هذه القيم، إن مقتل يهودي أو غربي يثير حفيظة العالم أجمع في حين أن مقتل المئات في فلسطين وأضعافهم في البوسنة والهرسك، وأكثر من مليون شخص في رواندا وأمثالهم في بقية أفريقيا، بسبب المجاعات والحروب، كل ذلك لا يحرك في العالم ساكنا، وهذه الازدواجية في النظرة نابعة من عنصرية المشروع الغربي وعدم إنسانيته وعدم تقديره واحترامه لحياة الإنسان.

**علاقة الإنسان بالله:**

إن علاقة الإنسان بالله تعالى علاقة ودّ فان من صفات الله الودود، وهي علاقة حب لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[71].

والله تعالى قريب من الإنسان لا حاجز بينهما، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[72]، وتصل درجة القرب أن يصبح قلب المؤمن هو عرش الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «قلب المؤمن عرش الله»[73].

والله تعالى مع الإنسان في كل مكان، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾[74]، فالله تعالى مع المريض وعنده، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: «عبدي مرضت فلم تزرني قال أو تمرض يا رب قال مرض عبدي فلان فلم تزره ولو زرته لوجدتني عنده»[75].

ويرتقي الإنسانُ في هذه العلاقة بجهد نفسي وبدني ليصبح الله في كل حواسه وجوارحه كما يصف الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي به يبصر ويده التي بها يبطش ورجله التي بها يمشي ولسانه الذي به ينطق وفؤاده الذي به يعقل»[76].

بل إن الله تعالى، في مستوى من مستويات علاقته بعبده يطلب رضاه (فقد جاء جبريل إلى الرسول ﷺ وقال له: «يا محمد ابلغ أبا بكر أن الله راض عنه فهل هو راض عن الله» " فلما سمع أبو بكر ذلك وكان واقفا قال: «رضيت يا رب رضيت يا رب" ودار حول نفسه وسقط مغشيا عليه» فالله تعالى قريب ودود يحب عباده ويحبونه يفرح لتوبتهم ويحزن لعصيانهم، يطلب رضاهم عنه كما يطلبون هم رضاه.

أما ما هو موجود في وعينا وتصورنا المشوه لهذا الإله على أنه مسؤول متجهم، يشرف على الناس من السماء وإنْ نزل إلى الأرض فان مكانه المساجد نقول هذا التصور وهذا التغييب بوجود الله بداخلنا هي سبب غربتنا وضياعنا وسبب ما حصل للبشرية من فساد وانحراف.

**المطلب الثاني: الإنسان**

**أولاً: موقف المشروع الإسلامي من الإنسان**

الإنسان هو المخلوق الذي كرمه الله تعالى وفضله على سائر المخلوقات وأسجد له الملائكة، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[77]، هو خليفة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[78].

وقد حمّل الله تعالى الإنسان أمانة أبت السماوات والأرض والجبال أن تحملها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[79].

وخلافة الإنسان في الأرض وحمله الأمانة العظيمة في عمارتها، دليل على علو منزلة هذا الإنسان عند الله، وأن له قيمة لا يجوز له أن يغفلها أو أن ينتقص منها، فان إغفاله لقيمته ومكانته سيكون سببا في تقصيره في أداء مهمته، وما نراه الآن

من ضياع وتيه للإنسان يعود إلى عدم إحساسه بقيمته الحقيقية ومعنى خلافته لله في الأرض.

وهذه الخلافة والمكانة تضع الإنسان أمام مسؤوليات عدة؛ مسؤولية أمام الله تعالى، ومسؤولية أمام مجتمعه ووطنه، ومسؤولية أمام نفسه، وأي تقصير في هذه المسؤولية هو نكوص عن العهد الذي قطعه الإنسان على نفسه مع الله تعالى.

ولما كان الإنسان في موضع المسؤولية عن خلافته لله تعالى في الأرض، فقد منحه الله تعالى عقلا وإرادة ليكون قادرا على القيام بمهمته وأنزل له مجموعة من القيم من خلال إرسال الرسل على مر تاريخ البشرية لتضبط مسيرته وعلاقته بالله تعالى وبالكون، وكي لا يكون فريسة للتخبط والضلال.

فالعقل هو مناط التكليف، وبه يستطيع الإنسان أن يميز بين الخير والشر، والإرادة هي التي تعطي للإنسان وجودا أو فاعلية في هذا الكون، وهذه الإرادة تمنحه حرية الاختيار، التي لولاها لما كان عدلا أن يحاسب الله تعالى الإنسان.

وإلغاء إرادة الإنسان وحرية اختياره خيانة لقيم الإسلام؛ لان ذلك سيمنع الإنسان من القيام بمسؤولياته ويطبعه بطابع العجز، خاصة إذا كان إلغاء هذه الإرادة يأخذ صبغة شرعية خاطئة، فما هو موجود الآن في وعي الإنسان المسلم من أنه لا يمكنه فعل شيء، وأن ما يجري للإنسان هو بإرادة الله تعالى وعندما يريد الله تعالى سيتغير هذا الواقع، إن مثل هذه الطروحات ضد عقيدة لا اله إلا الله، وضد ما أثبته الله تعالى من مسؤولية للإنسان، وتعارض مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا

لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[80]، فلا تغيير بدون إرادة الإنسان بل إن التغيير يبدأ من عند الإنسان لتأتي إرادة الله تعالى فتقوي هذه الإرادة وتمدها بالعون والتأييد.

وهذه الطروحات الخاطئة هي أيضا خيانة لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾[81]، فالآية صريحة وواضحة في أن النصر يبدأ بفعل الإنسان وإرادته، ونصرته لله بتمثل القيم التي أمر الله تعالى بها ثم يأتي نصر الله تعالى.

والظن بأن الإسلام فيه قوة سحرية، هي التي تقوم بالتغيير، ظن خاطئ، فالإسلام له بعد ثوري تحويلي، أي أن الإسلام لم يتحقق بآلية ذاتية أيا كان مصدرها، إنما بثورة لعب فيها القائد محمد ﷺ وقدرته القيادية وتطبيقاته وصحابته الدور الأساسي[82].

كما ان من أهم الأمور التي جاءت قيم الإسلام لتحقيقها أن الناس متساوون، فالأصل واحد؛ قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم لآدم وادم من تراب»[83] وقال عليه الصلاة والسلام: «الناس سواسية كأسنان المشط»[84]. وهم متساوون في المسؤولية أمام الله تبارك وتعالى حين يقول: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[85]، وميزان التفاضل بين الناس هو التقوى لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[86]. وهذا حق لله تعالى وحده؛ لأنه وحده الذي يعرف التقي من غيره.

فالناس متساوين في حقوقهم وحاجاتهم، لا تفاضل بينهم على أساس لغة أو عرق أو لون أو جنس، وان أول ما يجب مقاومته الآن التمييز الذي تطرحه المشار يع الظالمة؛ كتمييز الغربي على غيره واعتبار الغربي صنفا أرقى من الشرقي والآسيوي والأفريقي.

ولما كان الناس متساوون على كافة المستويات فان استعباد الإنسان للإنسان وإذلاله وقهره وهضم حقوقه يعتبر ضد الإنسانية، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (87).

واتخاذ الناس بعضهم لبعض أربابا يعني جعل بعضهم دون بعض في المستوى والمرتبة وتسلط بعضهم على بعض وليس بالضرورة أن يأخذ هذا الاستعباد شكلا صريحا في التعبير بان شخصاً ما هو ربه أو سلطة ما أو شركة ما، وإنما يأخذ أشكالا أخرى، كتسلط فرد أو مجموعة على مجموعة من الناس وإذلالهم والتحكم بأرزاقهم وهضم حقوقهم وإجبارهم على الخضوع لمجموعة من القيم اللاإنسانية واللاأخلاقية، كما تفعل شركات الغرب الصهيونية وما تطرحه من قيم استهلاكية تجعل الإنسان آلة في مصانعهم وأسواقهم لا كرامة له.

والملاحظ للآية يجد دقة التعبير القرآني (أربابا) فان الربوبية تعني خلْقَ الله تعالى كل شيء وسلطانه على جميع البشر ونفي كل سلطة أخرى.

والمساواة تعني خضوع الكل للتشريعات والقوانين التي تنظم علاقات الناس، فلا يوجد شخص فوق طائلة المسائلة وغير ذلك، نفيٌ للمساواة بين الناس وخروج على كثير من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد حقيقة المساواة بين الناس.

**ثانياً: مركزية الضرورات الخمس للمشروع الإسلامي**

الإنسان هو مركز الكون، وقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيق مقاصد لهذا الإنسان، استقراها علماء أصول الفقه من مجموع نصوص هذه الشريعة، وعلى رأس هذه المقاصد حفظ الضرورات الخمس:

يقول الشاطبي: (فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضرورات الخمس وهي الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وعلمها عند الأمة كالضروري و لم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد)[88].

ويكون حفظ هذه الضرورات وفق منهج محكم في المشروع العالمي الإسلامي من خلال كثير من التشريعات الأخلاقية والجزائية الدنيوية والجزاء الأخروي[89].

**وهذا يكون بأحد أمرين – كما يقول الشاطبي –**

**أحدهما:** ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك مراعاتها من جانب الوجود.

**الثاني:** ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم[90].

## أولاً: الدين

فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة من العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بربه وحرصت على حماية هذه العبادات من التلاعب والتحريف وإن المراد بحفظ الدين أن يؤدي غرضه في الأرض وان يحكم تصرفات البشر، وأن يقضي لصاحب الحق بحقه ويرد على صاحب الباطل باطله، فالناس قد يعتدي بعضهم على بعض في هذه الضرورات التي لا حياة لهم بدونها، ويعتدون على دينهم ونسلهم وعرضهم وعقلهم ومالهم وليس هناك مبدأ من المبادئ الموجودة في الأرض قادراً على حفظ هذه الضرورات حفظا يكفل لهم الحياة السعيدة إلا هذا الدين[91].

وأخطر شيء حرصت عليه الشريعة الإسلامية في هذا المقصد هو حرية الإنسان في اختيار الدين الذي يريد فقال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[92]، وقد عدَّ بعضُ علماء الأصول المتأخرين الحرية (حرية الإنسان) مقصدا سادسا يضاف إلى المقاصد الخمسة، ولكننا ستجعلها مرتبطة بالمقصد الأول لأهميتها وارتباطها الوثيق به.

فحرية الإنسان شيء مقدس لا يجوز الاعتداء عليه بحال من الأحوال، كما لا يجوز الاعتداء على الدين.

وحرية الإنسان حق من حقوقه التي منحه إياها الله تعالى، وكل من يتبجح أنه منحَ شعبَهُ الحرية والديمقراطية فإنه يتطاول على الله سبحانه وتعالى بادعائه حقا ليس له وإنما هو لله تعالى وحده.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان الحق في اختيار الدين فمن باب أولى أن منح الحرّية في أمور أخرى نحو حريته اختيار السلطة التي تمثله منبثق من الحرية التي منحه الله إياها، فلا تجوز مصادرة هذا الحق، وأي شعب بمجموعه هو الذي يفرز السلطة التي تدير شؤونه وأي حرمان للشعب من هذا الحق هو ظلم وطغيان واستعباد للإنسان، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[93] وأمرهم أي الحكم والخلافة.

**ثانياً: العقل**

لما كان العقل مناط التكليف، فقد كفل الإسلام حماية هذا العقل وصيانته من كل شيء يلغي دوره وينهي فاعليته، فحرم الخمر وكل مادة مسكرة تذهب العقل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[94].

وإذا كان العقل هو مناط التكليف في الشريعة الإسلامية فان حفظه ضرورة لا غنى عنها ولا تستقيم حياة الناس بدون ذلك[95].

كما أن غيبوبة السكر بأي مسكر تنافي اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله في كل لحظة مراقبا له في كل خطوة، ثم

ليكون بهذه اليقظة عاملا ايجابيا في نماء الحياة وتجددها، وفي صيانتها من الضعف والفساد وفي حماية نفسه وماله وعرضه وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعتها ونظامها من كل اعتداء، والفرد المسلم ليس متروكا لذاته ولذاته، فعليه في كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة؛ تكاليف لربه وتكاليف لنفسه ولأهله، وتكاليف للجماعة المسلمة التي يعيش فيها، وتكاليف للإنسانية كلها ليدعوها ويهديها[96].

وأعطى للعقل دورا في فهم النصوص الشرعية لاستنباط الأحكام الشرعية التي تنظم حياة الإنسان وفتح له أبواب العلم والمعرفة ودعاه إلى التفكر والبحث في هذا الكون.

**ثالثاً: النفس**

تصون الشريعة الإسلامية النفس وتحميها من أي اعتداء سواء كان ذلك بالقتل أو إتلاف عضو؛ لذلك شرعت القصاص لحماية هذه النفس من العبث، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[97].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[98]، في حين نجد الغرب لا يتورع عن قتل ملايين النفوس البشرية بدافع العنصرية والمصالح الاقتصادية، ولا مانع لديه من جعل الإنسان (وحتى الإنسان الغربي نفسه) حقلا

لتجاربه، والتقارير التي تثبت استخدام أمريكا وأوروبا لمجموعة كبيرة من الناس في مناطق مختلفة في تجاربهم النووية أصبحت أمرا لا يخفى على أحد.

**رابعاً: المال**

قلنا أن عقيدة التوحيد تعني توحيد مصدر الرزق، وأن الرازق هو الله تعالى وحده، لذلك حرصت الشريعة الإسلامية على حماية أرزاق الناس وأموالهم؛ فحرمت الربا الذي يؤدي إلى استعباد الناس وإذلالهم لمجموعة من البنوك الربوية التي تجني أرباحا طائلة دون أي جهل.

وفلسفة الإسلام في نظرته إلى المال فلسفة خاصة، تختلف عن فلسفة الرأسمالية وغيرها، فإن المال في الإسلام مال الله تعالى استخلف فيه عباده، وهذه قضية أخلاقية وجدانية إذا رسخت في ضمير الإنسان لا تجعله عبدا للمال وجمعه بل تجعل المال في يده، يسخره ويستثمره في ما يرضي الله تعالى ويعود بالنفع على البشرية، يقول الله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[99].

قال ابن جرير: (أي أنفقوا مما خولكم الله من المال الذي أورثكم عمن كان قبلكم فجعلكم خلفائهم فيه)[100].

قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[101]، وحرمةُ الاحتكار تعني إلى عدم تركز الأموال بيد فئة قليلة من الناس، قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ

أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[102]، فشُرِعَت الزكاة والصدقات والميراث.

وصانت الشريعة الإسلامية الأموال فحرّم السرقة وجعلت عقوبة ذلك قطع يد السارق لأموال، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[103].

واهم شيء في نظرة الإسلام للمال إنه جعل ملكية الإنسان للمال ملكية استخلاف وليس ملكية مطلقة – كما هي نظرة الرأسمالية مثلاً – وان استقرار هذه القيمة عند الإنسان تضبط تصرفه في هذا المال فلا ينفقه إلا فيما يعود بالخير عليه وعلى الإنسانية كلها.

وينبني على هذا أن لا سلطة مطلقة للإنسان على ماله، بل له منهج وطرق يباح له فيها الإنفاق وغير ذلك يعد تضييعا للمال نهى عنه الشرع وسيحاسب عليه. لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»[104].

قال النووي: (وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف، وسبب النهي انه فساد والله لا يحب المفسدين، ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس)[105].

ويقول ابن حجر: (ومنع منه لأن الله تعالى جعل المال قياما لمصالح العباد وفي تبذيره تفويت تلك المصالح إما في حق مضيعها وإما في حق غيره)[106].

**خامسا: النسب (النسل)**

حفظ النسب وصيانة الأعراض من أولويات الشريعة الإسلامية، فالزنى وكل ما يؤدي إليه من تبرج وعري وسياسات تدعو إلى الرذيلة وتحارب الفضيلة، كل ذلك محرم في الشريعة الإسلامية حماية للفرد والأسرة والمجتمع من التفكك وتحقيقاً لضمان اجتماعي لكل فرد من خلال أسرة ينتمي إليها وبيت يرعاه في حالات ضعفه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[107].

كما أن حفظ النسب وضبطه وفق آلية ومنهجية محكمة وعقد مقدس بين الرجل والمرأة مقصد ضروري للبشرية، يقول الغزالي في بيان فوائد النكاح – الذي غايته استمرار النسل –: (الفائدة الأولى وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وان لا يخلو العالم من جنس الإنس)[108].

وبالمقابل باب الزواج للحفاظ على النسل البشري وحماية للإنسان من الضعف أمام غريزته الجنسية التي وضعها الله تعالى فيه، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[109].

هذه المقاصد الخمسة والحرية التي تضمّنها المقصد الأول هي التي جاءت الشريعة الإسلامية لتحقيقها، وأي نظام (سلطة) لا يعمل على تحقيقها وفق القيم الإسلامية فانه نظام فاقد لشرعيته[110].

## المطلب الثالث: الحياة

إن من أهم القيم التي يرتكز عليها المشروع الإسلامي الحضاري البعد الأخروي أو الغيبي، فان هذه الحياة ليست نهاية المطاف بالنسبة للإنسان وإنما هي مرحلة من المراحل التي يمر بها؛ ما قبل الولادة، والحياة، والموت، والآخرة، والبعث، والحساب والجزاء، وهذه القيمة لها أثر كبير في ضبط مسيرة الإنسان بحيث تجعله متزنا في تصرفاته وفق قيم معينة تضمن له السلامة فيما بعد الحياة، خاصة أن ما بعد الحياة وطبيعته من ناحية السعادة والشقاء مرتبط بسلوك الإنسان ومدى التزامه بالقيم التي أمر الله تعالى بها في هذه الحياة. فالحياة هي مجال العمل وما بعدها مجال الحساب على العمل، كما أنها فرصة الإنسان الوحيدة وبعدها لا رجعة للعمل ولا ندم ينفع وهذا البعد الغيبي له اثر فعال في حماية البشرية من الظلم والطغيان، فالإنسان الذي يدرك أنه يعيش حياة مرحلية هو فيها مسؤول عن كل تصرفاته وبعد انتهاء حياته.

بالموت سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة عملها فيها، لا يمكن أن يظلم أو يضل أو يطغى، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[111]، وقال أيضا: ﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[112].

وثمّة نصوص كثيرة تؤكد مرحلية هذه الحياة وان ما بعدها يعتمد عليها حيثُ يُسأل الإنسان عن كل أعماله ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ

بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[113].

بل إن الإسلام يعتبر هذه الحياة لا قيمة لها أمام الآخرة، فالحياة الدنيا مرحلة اختبار وامتحان لما بعدها، في حين أن الآخرة سعادة مطلقة لمن قدم خيرا في هذه الحياة؛ لذلك وصفت هذه الحياة بالدنيا قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[114]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[115]، وقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[116].

و لا يعني هذا إغفال التشريع لضبط تفاصيل حياة الإنسان؛ فان من غايات التشريع ومقاصده التي لأجلها شرعت الأحكام الكثيرة لتنظيم حياة الإنسان في شتى المجالات دون إغفال جانب منها، فهذا التشريع العالمي الشمولي لا يريد للإنسان أن يجعل هذه الحياة غايته ومبتغاه فيصبح عبدا لها؛ بل يريده متجاوزا لها لما هو أكثر سعادة وجمالا إلى الجنة، وفي الوقت نفسه يريد لحياته أن تكون سعيدة من خلال ضبطها بأحكام التشريع الإلهي، لأن الحياة نقصد هنا حياة مجموع البشرية لن ترى السعادة في ظل أي منهج عدا منهج الخالق الحكيم.

## المطلب الرابع: الكون

إنّ خلق الله تعالى مليءٌ بمفردات كثيرة، وهو يسير وفق نظام منسجم متكامل، وسنن كونية لا تتخلف، سخره الله تعالى للإنسان ليحقق من خلاله توحيد الله تعالى ويقوم بمهمته في عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾[117].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[118].

كما أنّ الإمكانات المتاحة في هذا الكون (النعم) لا تنضب فهي متجددة بمقدار سعي الإنسان وبحثه وتقدمه العلمي، والإسلام يتعامل مع موارد هذا الكون على أنها ملك لجميع الأجيال فلا يسرف وإنما يستغل منها حاجته، ولا يخشى من نفاد هذه الموارد.

وفقدان هذه القيمة من المنظور المعرفي الرأسمالي والاشتراكي جر على الإنسان الكثير من المشاكل، حيث نتج عن غياب هذه القيمة ما يسمى بالمشكلة الاقتصادية – التي لا وجود لها في المنظور الإسلامي أصلا – ثم بدأت كلا النظريتين الرأسمالية والاشتراكية في وضع الحلول لهذه المشكلة على حساب

الإنسان، كضرورة تقليص الأعداد البشرية لتتوازن مع الموارد الكونية المحدودة في نظرهم عن طريق افتعال الحروب وسياسات تحديد النسل وغير ذلك.

في حين أن قانون التسخير في الإسلام يشكل ضمانة وحماية للإنسان فلا يمكن أن يوضع حل لأي مشكلة على حساب الإنسان.

فالإسلام ينظر إلى موارد هذا الكون على أنها متجددة لا تنفذ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[119]، ولا يسرف في استخدام هذه الموارد لأنها ملك البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[120].

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[121]، كما نهى النبي ﷺ عن الإسراف في الماء حتى لو كان الإنسان على نهر جار.

وما يعانيه العالم من فقر ومجاعة في كثير من بلدان العالم، عائد إلى غياب مثل هذه القيم، والى سوء توزيع هذه الموارد.

إنَّ الإسلام ينظر إلى الكون نظرة توافق وانسجام، ولعلّ قيام مشروع إسلامي عالمي سيحقق الكثير للبشرية من السعادة والرفاه والعدالة والمحبة، سيحقق أيضاً انسجاما بين البشرية والكون الذي تعيش فيه، فستكثر الخيرات، ويبسط

للناس في أرزاقهم، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[123].

وإذن ستنزل السماء كل بركاتها على بشرية انصاعت لمنهج خالقها، وستخرج الأرض كل خيراتها لعالم يسير عليها بما أمر به مبدعه، وحتى ما في هذا الكون من مخلوقات وعوالم سينعكس عليها تطبيق هذا المشروع العالمي العادل فلن تعود الوحوش المفترسة تفترس بلا عدالة، بل ستأكل حاجتها وفقط، ففي زمن عمر بن عبد العزيز كان الذئب يرعى مع الغنم، إما في زماننا فإننا كنا نسمع في طفولتنا ونرى أن ذئبا دخل حظيرة فلان فقتل مجموعة من الشياه واكل منها حاجته وغادر.

الخاتمة

وفي الختام هذه إضاءة سريعة على الحد الجوهري الفاصل بين المشروع الغربي الرأسمالي (العولمة) وبين المشروع الإسلامي العالمي، وتهدف هذه الإضاءة إلى بيان حاجة البشرية إلى المشروع الإسلامي العالمي القائم على مبادئ العدالة والرحمة وتدعو إلى أن تعيد النخب الثقافية والسياسية في العالم النظر في مشروع العولمة بكل موضوعية ودون تعصب.

فالمسالة هنا ليست مسالة صراع بين مشروعين، وإنما هي إشفاق على البشرية وعلى الإنسان الذي بدأ يفقد أهم معاني الإنسانية خلال العقود الأخيرة

إن العولمة تعتبر العالم مسرحاً تروج فيه بضاعتها وسوقاً تضاعف فيه أرباحها، في حين أن العالمية في المشروع الإسلامي هدف حقيقي يراد منه أن تعم الرحمة والعدالة كل بقعة في هذه الأرض ويجني ثماره الطموحة كل إنسان على هذه البسيطة.

## النتائج

1. إن عالمية الإسلام تردُّ فكرة العالمية إلى القيم الأخلاقية لعالمية الجنس البشري، فهي تحترم خصوصية الشعوب وتفردها وثقافاتها المحلية ضمن إطار عالمي، بينما ترتكز عالمية العولمة الغربية على نفي ثقافات الأمم والشعوب واستبعادها وتحاول فرض ثقافة واحدة لدول تمتلك القوى المادية وتهدف عبر العولمة لتحقيق مكاسب السوق لا منافع البشر.

2. عالمية الرأسمالية عالمية جغرافية بمعنى أنها تريد تبعية كل البقع الجغرافية التي يقطنها الإنسان لمركز العالم (مركز رأس المال حسب تصورهم) بحيث يكون العالم تحت سيطرة المركز في حين أن عالمية المشروع الإسلامي، تعنى بالإنسان فهي تهدف إلى أن تعم رحمة هذه الرسالة الإنسان أينما وجد في هذا العالم

3. العالمية في العولمة وسيلة للاستحواذ على العالم والاستفراد بخيراته وتحقيق مزيد من الأرباح لأرباب رأس المال من خلال الشركات العابرة للقارات، أما العالمية في الإسلام فهي غاية بحد ذاتها ومقصد ليشمل عدل هذا المشروع كل فرد في العالم.

4. المقاصدية من عالمية عولمة الغرب مادية صرفة وفئوية بامتياز؛ لأنها تعنى بفئة من بني البشر وتهدف إلى تحقيق الامتيازات غير المحدودة لهذه الفئة التي لا تشكل سوى نسبة 20% من سكان العالم في حين أن غائية ومقاصدية عالمية المشروع الإسلامي قيمية وأخلاقية وشاملة.

5. إن من أهم الفروق بين العولمة والعالمية ما ينتج عن كل منهما من آثار اجتماعية وسياسية واقتصادية، فمن يراقب العالم الآن يلمس ما جرّته عولمة الغرب على العالم من مخاطر اجتماعية وسياسية تتمثل في النزاعات العرقية والحروب الأهلية والصراعات الطائفية في العالم فان العالم الآن بؤر تشتعل على شكل حروب داخلية، وهذا إفراز طبيعي من إفرازات العولمة التي تقوم على فلسفة نفي الآخر، وفرض ثقافة واحدة على بني البشر. وأما الآثار الاقتصادية فان العالم لا يكاد يخرج من أزمة اقتصادية حتى يقع في أخرى.

في حين يشهد التاريخ لعالمية المشروع الإسلامي عندما كان يمارس بشكله النقي في بعض الحقب التاريخية بتحقق العدالة والاستقرار لكل بني البشر الذين عاشوا في ظل هذا المشروع كجزء من أمة الإسلام العالمية، التي لم تكن تقوم على معاني الفرقة والطائفية والتهميش وعلى الصعيد الاقتصادي كان المشروع الإسلامي يحقق دوما الرفاه والاستقرار الاقتصادي لأن هذا المشروع يقوم على فلسفة قيم العدالة ومساندة الفقير لا زيادة فقره، وهو مشروع لا يخدم فئة على حساب أخرى.

6. عالمية الإسلام عالمية الهدف والغاية والوسيلة أما عالمية الغرب فهي وسيلة فقط.

7. إن هذه النتائج ينبغي أن تدفع كل النخب الموضوعية في العالم إلى تحمل مسؤوليتها الأخلاقية تجاه البشرية بإعادة قراءة كلا المشروعين دون تحيز وتعصب ليقدموا للبشرية الحل الذي ينقذها مما هي فيه؛ لأن ما يجري الآن تدمير حقيقي لبني البشر، قاد إليه حسب تصور الباحثين تفرد مشروع العولمة بقيادة البشرية.

## الهوامش

1- العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، من بحث د. محمد عابد الجابري، ص135.

2- مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة، أحمد صدقي الدجاني، جريدة القدس، 1998/2/6، ص13.

3- مجلة الهلال، د. محمود فهمي حجازي، عدد مارس 2001، القاهرة ص87.

4- العولمة والثقافة العربية، جاسم المطير، جريدة الرأي 1997/9/13م.

5- الثقافة العربية والتعددية في ظل العولمة، هاني الحوراني، جريدة الدستور 1998/4/13م.

6- الثقافة العربية والتعددية في ظل العولمة، هاني الحوراني، جريدة الدستور 1998/4/13م، وانظر البحث عن المستقبل، رجب البنا، ص234. والعولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د. عبد العزيز التويجري ايسيسكو الرياض على موقع ايسيسكو شبكة المعلومات الدولية.

7- العولمة والثقافة العربية، جاسم المطير، جريدة الرأي 1997/9/13م، وانظر الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم المبروك وآخرون ص99–101.

8- مؤتمر الثقافة العربية بين العولمة والخصخصة، جريدة الرأي 1998/5/5م.

9- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

10- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

11- حال العالم وحال الأمة، نصر شمالي، جريدة العرب اليوم 1998/5/16م.

12- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

13- مؤتمر الثقافة العربية بين العولمة والخصخصة، جريدة العرب اليوم 1998/5/6م.

14- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

15- انظر فخ العولمة، هانز بيتر وهارت شومان، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة، الكويت ص7، كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

16- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

17- العولمة وأبعادها ورقة مقدمة لمؤتمر كلية الشريعة جامعة الكويت عام 2000، كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

18- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

19- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

20- حال العالم وحال الأمة، نصر شمالي، جريدة العرب اليوم 1998/5/16م.

21- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

22- البقرة آية 278–279.

23- مبادئ العلاقات الدولية، سعد حقي توفيق، دار وائل للنشر، الأردن، 2004، ص202، كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

24- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

25- مؤتمر الثقافة العربية بين العولمة والخصخصة، جريدة الرأي 1998/5/5م.

26- ظاهرة العولمة الاقتصادية، محمد عمر الحاجي، ص36، كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

27- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

28- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

29- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

30- انظر عالم واحد مستعدون أم لا، ويليام جريدير، ص20، كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

31- عولمة السيادة وحالة الأمة العربية، حسن البزاز، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت 2002، ص99، كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

32- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

33- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

34- حال العالم وحال الأمة، نصر شمالي، جريدة العرب اليوم 1998/5/16م.

35- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

36- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

37- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

38- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

39- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

40- كتاب مصيدة العولمة والانقضاض على الديمقراطية والازدهار، هانز بيتر مارتن وهارولد شومان، جريدة الدستور، (27، 29) كانون الأول 1997 و(2، 7) كانون الثاني 1998م.

41- سورة المؤمنون، الآيات 33–37.

42- سورة الواقعة، الآيات 45–47.

43- سورة الزخرف، الآية 23.

44- سورة الزخرف، الآية 23.

45- سورة المؤمنون، الآيتين 64 و70.

46- سورة سبأ، الآية 34.

47- سورة الزخرف، الآيتين 23 و24.

48- سورة هود، من الآية 116.

49- سورة الأنبياء، الآيتين 13 و14.

50- سورة الإسراء، الآية 16.

51- سورة هود، الآيتين 116 و117.

52- سورة الزخرف، الآيات 23–25.

53- سورة الأعراف، من آية 158.

54- سورة الفرقان، الآية 1.

55- صحيح مسلم 1/ 370.

56- رواه الشيخان البخاري في كتاب أبواب استقبال القبلة ومسلم في كتاب التيمم والصلاة.

57- سورة سبا، الآية 28.

58- سورة الأنبياء، الآية 107.

59- سورة البقرة، من الآية 256.

60- سورة الأنبياء، الآية 108.

61- سورة الفاتحة، الآية 2.

62- سورة الذاريات، الآية 58.

63- سورة الملك، الآية 21.

64- سورة الذاريات، الآيتين 22-23.

65- سورة غافر، الآية 13.

66- الحديث بلفظ قريب في البخاري كتاب الأنبياء باب خلق ادم عليه السلام، مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.

67- أخرجه الترمذي حديث رقم 1139 وصححه ص452، وفي مسند احمد 304/3.

68- أخرجه أبو داوود حديث رقم 3477 واحمد 5/ 364 البيهقي 150/6.

69- رواه الإمام أحمد.

70- سورة الملك، الآية 2.

71- سورة آل عمران، من الآية 156.

72- رواه البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان حديث رقم 16 ومسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان حديث رقم 67.

73- سورة البقرة، الآية 186، سورة هود، الآية 61، سورة سبا، الآية 50.

74- وهذا مبني على حديث «ما وسعتني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» وقد اخرج هذا الحديث الإمام احمد في كتاب الزهد. وهذا الحديث وان ضعفه المحدثون إلا أن معناه لا يقصد به التجسيد وإنما المقصود وسعني قبل المؤمن بمعرفته لي ومحبته.

75- سورة الحديد، من الآية 4.

76- أخرجه مسلم في باب فضل عيادة المريض حديث رقم 43، ص1990، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

77- صحيح البخاري 5/ 2384 حديث رقم (6137).

78- الإسراء، من الآية 70.

79- البقرة، الآية 30.

80- الأحزاب، الآية 72.

81- سورة الرعد، الآية 11.

82- سورة محمد، الآية 7.

83- كتاب الأمة والدولة – د. نزار الحديثي.

84- جزء من خطبة الرسول في حجة الوداع رواه احمد في المسند 8736، أبو داوود في الأدب 5116.

85- هذا الحديث وان ضعفه البعض إلا أن معناه منسجم مع توجه الإسلام في مبادئ العدالة.

86- سورة الزلزلة، الآيتين 7-8.

87- سورة الحجرات، من الآية 13.

88- سورة آل عمران، الآية 64.

89- الموافقات للشاطبي 1/ 31، وانظر مقاصد الشريعة لابن عاشور تحقيق الميساوي ص213، ونظرية المقاصد، الحسني ص235 وما بعدها، والمستصفى، الغزالي، ص 174، والمحصول للرازي 5/ 160، ونظرية المقاصد، الريسوني ص54–55.

90- البرهان في أصول الفقه، الجويني ص1151، وشفاء الغليل، الغزالي ص 160.

91- الموافقات للشاطبي 2/ 18-20.

92- الإسلام وضرورات الحياة ص40.

93- سورة البقرة، من الآية 255.

94- سورة الشورى، من الآية 38.

95- سورة المائدة، من الآية 90.

96- الإسلام وضرورات الحياة ص112.

97- في ظلال القران، سيد قطب 977/2.

98- سورة الأنعام، من الآية 151.

99- سورة البقرة، من الآية 178.

100- سورة الحديد، الآية 7.

101- جامع البيان، الطبري 11/ 67.

102- سورة البقرة، الآية 275.

103- سورة الحشر، الآية 7.

104- سورة المائدة، الآية 38.

105- أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض باب ما نهى من إضاعة المال (2408)، ومسلم في كتاب الأقضية (1715).

106- شرح صحيح مسلم 7/ 100.

107- فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني 10/ 422.

108- سورة الإسراء، الآية 32.

109- إحياء علوم الدين، الغزالي 75/2

110- سورة النحل، الآية 72.

111- لمزيد من التفصيل حول هذه المقاصد وكيفية محافظة الإسلام وحرصه على صونها وتحقيقها وحمايته للضرورات الخمس يمكن الرجوع إلى معالم وضوابط الاجتهاد عند ابن تيمية، د. علاء رحال ص119 وما بعدها، والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم ص393 وما بعدها، ومقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف احمد البدوي ص126 وما بعدها.

112- سورة المؤمنون، الآية 115.

113- سورة الجاثية، الآية 26.

114- سورة يونس، الآية 23.

115- سورة الرعد، الآية 26.

116- سورة العنكبوت، الآية 64.

117- سورة الأعلى، الآيتين 16، 17.

118- سورة لقمان، الآية 20.

119- سورة الجاثية، الآيتين 12-13.

120- سورة النحل، من الآية 18.

121- سورة الأنعام، من الآية 141.

122- سورة الأعراف، من الآية 31.

123- سورة الأعراف، من الآية 96.